

الفصل السادس الجغرافيا والرحلات

ف٩٥ : الوراق - البكري.

ف٩٦: عبد المنعم الحميري - أبو حامد الفرناطي.

ف٩٧: الإدريسي.

ف٩٨: ابن جبير.

ف٩٩: العبدري - الجغرافيون في العصر الفرناطي

obeikandi.com

كان الحج إلى مكة هو السبب في تأصل حب الرحلة في قلوب الأندلسيين، ومن ثم أولعوا بالتنقل والأسفار ولعاً شديداً، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن ظهر من بينهم من أُلّف في وصف رحلته أو في صفة نواحي المعمور. وقد وضع بعض أولئك الأندلسيين مؤلفات جغرافية خالصة (مثل البكري وأبي حامد الفرناطي والإدرسي)، بينما سجل بعضهم لتفاصيل رحلاتهم أوصافاً كاملة، أو غير كاملة، كما يصنع الرحالة المحدثون عندما يسجلون يومياتهم (ومن أولئك ابن جبير والعبدي).

ف٩٥ - الوراق - البكري

بدأ الاهتمام بالتأليف في الجغرافية عند الأندلسيين في عصر الخلافة، فقد أُلّف محمد بن يوسف الوراق (يكنى أبا عبد الله ويلقب بالتاريخي، ٢٩١-٢٦٢/٩٠٤-٩٧٢) ديواناً ضخماً في «مسالك إفريقية وممالكها». وأصل الوراق من وادي الحجارة، وانتقل أباه إلى إفريقية ونشأ بالقيروان ودرس بها، ثم عاد إلى الأندلس وأقام بها إلى أن توفى بقرطبة، وكان ذا حظوة لدى الحكم المستنصر. وقد اعتمد البكري على كتابه هذا اعتماداً عظيماً.

وإلى جانب ذلك صنّف الوراق عن «إفريقية وفي أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليها كتباً جمّة، وكذلك أُلّف أيضاً في أخبار تيهرت وورهان وتنس وسجلماسة ونكور والبصرة وغيرها تواليف حسناً»^(١).

بيد أن أول جغرافي أندلسي جليل الشأن هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، ولد في قرطبة في سنة ٤٣٢/١٠٤٠ وتوفي فيها سنة ٤٨٧/١٠٩٤ وهو من بيت شرف وإمارة، فقد كان أباه أصحاب ولبة وشلطيش، إذ استبدوا بأمورهما بعد سقوط الخلافة، وظلوا في إمارتهم حتى غضبهم المعتضد بن عباد ولبة

واضطروهم إلى التنازل له عن شلطيش لقاء مال دفعه إليهم، فلجأ أبو البكري إلى قرطبة وأقام في ظل بني جهور أصحابها، وصحبه ابنه أبو عبيد - وكان شاباً يافعاً - وهناك لقيه ابن حيان المؤرخ وتوسم فيه النجابة والاستعداد للطلب. وتوفي سنة ٤٥٦ / ١٠٦٤، فانتقل أبو عبيد إلى المرية وعرف صاحبها المعتصم محمد بن معن بن صمادح (٢٣٢)، فبعثه في مهمة إلى المعتمد بن عباد في إشبيلية، فلما استقر فيها حُبب إليه العيش في كنف المعتمد. ويذكر ابن بشكوال أن البكري كان يحب الكتب حباً جماً؛ حتى كان يمسكها في قماش غالي إكراماً لها وصيانة؛ ويبدو أنه كان ذا هوى شديد بالشراب، فبعض أشعاره يدل على ذلك.

ويذهب دوزي إلى أن البكري أكبر جغرافياً أنجبه الأندلس؛ ولم يبرح البكري الأندلس، ولهذا فإن مؤلفاته إنما هي في الواقع جمع وتصنيف من مؤلفات غيره مما لا نجده الآن. وقد أظهر البكري في تصنيفه قدرة على الترتيب والتنظيم وموهبة عالية. وأكبر كتبه هو المسمى «المسالك والممالك»، ولم يبق لنا منه إلا جزء في صفة المغرب؛ وهو يذكر فيه المسالك (الطرق) التي تؤدي من ناحية إلى ناحية، ويصف المدائن والقرى التي تربطها، ويضمن كلامه أخباراً غريبة نافعة. وقد بدأ كاترمير بترجمة الجزء الخاص بالمغرب، وأتمه البارن دي سلان (نشر الأصل العربي في سنة ١٩١١، والترجمة الفرنسية في سنة ١٩١٣) ولم يعثر على الجزء الخاص بالأندلس منه إلى الآن.

وكذلك أثنى النقاد والباحثون على كتاب البكري الآخر المسمى «معجم ما استعجم» (طبعه فستفلد طبع حجر في سنة ١٨٧٦، وطُبع في القاهرة في جزئين سنة ١٩٤٠)، وممن أثنى عليه دوزي إذ يقول: «إننا بينما نجد غيره من الجغرافيين يقعون في خطأ بعد خطأ، ويناقضون أنفسهم بين موضع وموضع، إذ بنا نجد معلومات البكري واضحة ناصعة، وكتاباتة توضح بعبارة واحدة: إنها صادقة».

وقد ترمى إلى ظن فرانشسكو خافيير سيمونيت أن البكري لا بد أن يكون قد عرف كتاب «أصول الكلمات Etimologias» لإيزودور الإشبيلي مترجماً على العربية؛ لأن أوصاف بعض النواحي في كتاب إيزودور تنطبق على أوصاف البكري لها. فالجزء الذي يصف فيه البكري جزائر فُرْطُنَاطُس isias Fortunatas - المسماة بالسعادات أو جزائر كناريا - يبدو كأنه مأخوذ عن إيزودور.

وللبكري - إلى جانب ذلك - كتب أخرى في اللغة والطب والدين، مثل «كتاب النبات» (بالأندلس، ذكره ابن خير)، وشرحه لأمالي أبي علي القالي المسمى «سمط اللاكي» (ف ٥٥)؛ وقد ضاعت هذه الكتب ما عدا الأخير منها فقد نُشر في القاهرة^(٢).

ف٩٦- عبد المنعم الحميري - أبو حامد الفرناطي أشار المقرئ في «نفح الطيب» إلى معجم جغرافي يسمى «الروض المعطار في خبر الأقطار لعبد المنعم الحميري»، ونقل منه قطعاً تدل على مادة طيبة، ووقع هذا الكتاب في يد المقرئ في مختصره في مجلد صغير. لوظل هذا الكتاب مجهولاً؛ حتى عثر عليه الأستاذ ليفي بروفتسال، فقام بانتخاب المادة الخاصة بالأندلس منه، ونشرها في معجم جليل الفائدة سنة ١٩٢٨، مع ترجمة فرنسية وتعليقات ضافية وفهارس وافية؛ فأصبح هذا الكتاب الآن من خير المراجع التي يعتمد عليها الباحث في تاريخ الأندلس وجغرافيتها.

ومواد هذا الجزء المنشور عن الأندلس مرتبة ترتيباً أبجدياً، وهو يضم معظم الأعلام الجغرافية الهامة التي يرد ذكرها في كتب الأندلسيين. وقد حرص الحميري على أن يورد ما اتصل بعلمه من أطراف التاريخ عن الموضوع الذي يتكلم عنه، وأكثر هذه المادة التاريخية يتعلق بعصر الموحدين الذي سقطت خلاله معظم حواضر الأندلس الكبيرة في أيدي النصارى. والحميري يعني بتفصيل ذلك على نحو فريد وفي

أسلوب عربي رصين، مما يجعل لهذا الكتاب أهمية كبرى للمؤرخ والجغراف في على السواء^(*).

وقد كان من المظنون أن الحميري عاش في عصر المعتمد بن عباد، ولكن ظهر الآن أنه من أهل القرن التاسع الهجري، فقد توفي سنة ١١٤٦١/٨٦٦^(*).

أما أبو حامد الفرناطي^(٤) (محمد بن عبد الرحمن بن سليمان القيسي يكنى أيضاً أبا محمد وأبا بكر، ٤٧٣-٥٦٤/١٠٨٠-١١٦٩) فقد كان رحالة لا يمل الأسفار. زار صقلية سنة ١١١٧/٥١١، ومنها ذهب إلى مصر، ثم غادرها إلى ناحية بحر الخزر، ووصل إلى ضفاف نهر الفولجا، ثم طاف ببلاد الخزر والبلغار ووصل ثلاث مرات إلى البحر الأسود، وزار عاصمة خوارزم، ثم زار بغداد مرة ثانية في سنة ١١٦٠/٥٥٥، وأقام فيها ردها من الزمن ألف فيه للوزير يحيى بن محمد بن هبيرة كتاب «المغرب عن عجائب المغرب». وأبو حامد مشهور بكتابه المسمى «تحفة الأصحاب ونخبة الإعجاب» ولدينا منه نسخ مخطوطة كثيرة. ويتألف هذا الكتاب من مقدمة وأربعة أبواب:

الأول: «في صفة الدنيا وسكانها من إنسها وجانها».

والثاني: «في صفة عجائب البلدان وغرائب البنيان».

والثالث: «في صفة البحار وعجائب حيواناتها».

والرابع: «في صفة الحفائر والقبور» وما إلى ذلك. وللفرناطي كذلك رسالة

أخرى في جغرافية المعمور تسمى «تحفة الكبار في أسفار البحار».

وكان أبو حامد طليعة بطبعه؛ ولكن حظه من الثقافة والنقد كان قليلاً، ومن

(*) عدلت عبارة المؤلف هنا بما يناسب معلوماتنا عن عبد المنعم الحميري وكتابه بعد نشره.

ثم يكثر في كلامه ذكر الخرافات والخرائق، وقد أخذ القزويني عنه كثيراً من هذه المادة^(٥).

ف-٩٧ - الإدريسي

كان الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي، ٤٩٣ - ٥٦٤ / ١٠٩٩-١١٦٩) حفيداً لإدريس الثاني الحمودي أمير مالقة، ويبدو أنه درس في قرطبة ثم زار كثيراً من نواحي الأندلس والمغرب ومصر وآسيا الصغرى، ثم زار صقلية؛ حيث أعجب به ملكها رُجار^(٦) (روجر الثاني النرمانى، من بيت هوتفيل النرمانى فاتحي الجزيرة) فأقام عنده، وكان رُجار من هواة الفلك فوجد في الإدريسي خير معين له على إشباع رغبته من ذلك العلم.

ولما كان رجار قد رغب في أن يكون لديه «كتاب في صفة الأرض»، مؤلف عن مشاهدة مباشرة لا مستخرج من الكتب» فقد تصدى الإدريسي لوضع ذلك الكتاب، وانتخب نفراً من أذكىء الرجال وبعثهم في شتى النواحي يصاحبهم الرسامون، وجعل يتلقى ما يعودون به ويسجله أولاً بأول. وفرغ من كتابه سنة ٥٤٨ / ١١٥٤، ثم أضاف إليه أجزاء أخرى فيما بعد وسماه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، ويعرف كذلك «بالكتاب الرجاري». وقد ألف الإدريسي كذلك «كتاب الممالك»، وقد اعتمد عليه أبو الفدا؛ وله كتاب في «الأدوية المفردة»، ذكره ابن سعيد أفاد منه ابن البيطار، وقد ضاعت هذه الكتب الأخيرة.

وقد عُرف «الكتاب الرجاري» في أوروبا منذ زمن طويل، عن طريق موجز له طُبِعَ في روما سنة ١٥٩٢. ثم قام اثنان من المارونيّين هما جبريل سيونيتا Gabriel Sionita ويوحنا هزرونيثا Juan Hesronita بترجمة هذا المختصر إلى اللاتينية، ونشراه في باريس سنة ١٦١٩ باسم «جغرافية النوبة Geographia Nubiensis». وقد قام دوزي

ودي خويه بنشر الجزء الخاص بإفريقية والأندلس من «نزهة المشتاق»، معتمدين على مخطوط بالمكتبة الأهلية في باريس؛ وأرَقَقَا النص بترجمة فرنسية عنوانها:

Description de l'Afrique et de l'Espagne (ليدن ١٨٦٦)، وجعلنا لهذا الجزء عنواناً خاصاً هو «المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق»؛ ثم عاد سافدر فنشره نشرًا مصححاً معدلاً في مدريد سنة ١٨٨١^(٧).

وقد لُقِبَ الإدريسي «أسطرابون العرب»، وهو يعتبر - بناء على ذلك - أكبر جغرافٍ أطلعت العصور الوسطى. نعم، إننا نجد في كتابه أخطاء في حساب المسافات والأبعاد والأوصاف؛ ولكن لا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن الإدريسي كتب كتابه هذا في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي وأن موت رجار وما أعقبه من القلاقل في دولة النورمان بصقلية، حالت بين الإدريسي وبين أن يدخل على كتابه التعديلات الأخيرة الواجبة.

ثم إن الكتاب حافل بالمعلومات الصحيحة في الغالب، ومادته وافرة عن البلاد الأوروبية التي تسكنها شعوب نصرانية، على أنه يضم بعض أطراف من الخرافات التي كانت أوسع ما تكون انتشاراً في عصره.

والجزء الخاص بجزيرة الأندلس عنده يبدأ بوضعها في الإقليم الرابع عند «البحر المظلم المحيط» ثم يستطرد إلى وصف الجزيرة^(٨)، بادئاً بطليطلة إذ هي «مركز لجميع بلاد الأندلس، وذلك أن منها إلى مدينة قرطبة بين غرب وجنوب تسع مراحل، ومنها إلى لشبونة غرباً تسع مراحل، ومن طليطلة إلى شنت ياقوت على بحر الإنقليشيين تسع مراحل، ومنها إلى جاقا شرقاً تسع مراحل، ومنها إلى مدينة بنسية بين شرق وجنوب تسع مراحل، ومنها أيضاً إلى مدينة المرية على البحر الشامي تسع مراحل»^(٩). ثم يصف بعد ذلك الجزء الجنوبي من الجزيرة، فيتكلم عن أقاليم

البحيرة Provincia del Legos de la Janda^(١١) وشذونة الشرف والكنبانية (وفيه من المدن قرطبة وغيرها)^(١٢) وأشونة ورية والبشارات وبيجانة والبيرة. ثم يتناول الجزء الشرقي، وفيه أقاليم فريرة وتدمير وكونكة وشاطبة^(١٣) ومُرْبِيطر (يكتبها مُرباطر) والبُنت^(١٤) وسنت مارية المنسوبة لابن رزين (السهلة). ثم ينتقل إلى الكلام عن غرب الأندلس، فيذكر أقاليم الولجة Encinas والقفر Algarbe والقصر (ماردة) والبلاط ومدلين Medelin وأشبونة. ثم يلي ذلك «الوسط»، وفيه أقاليم الشارات Las Sierras (طلبييرة وطلبيطة... إلخ) وأرنيط Arnedo (وفيه قلعة أيوب وقلعة دروكة وسرقسطة ووشقة وتطيلة)، ثم «إقليم الزيتون» (جيان) Provincia de las Olviars ثم يلي ذلك «إقليم البرتات» Provincia de los Pirineos، وأخيراً نجد في ناحية الغرب إقليم مرمرية Marmaria وفيه حصون وقلاع كثيرة [خالية]^(١٥).

واليك مثلاً من وصف الإدريسي، نتخيره من صفته لإقليم طليطلة:

«ومدينة طليطلة من طليبييرة شرقاً وهي مدينة عظيمة القطر كثيرة البشر حصينة الذات، لها أسوار حسنة، ولها قسبة فيها حصانة ومنعة، وهي أزلية من بناء العمالقة، وقليلاً ما رُئيَ مثلها إتقناً وشماخة بنيان. وهي عالية الذرى حسنة البقعة زاكية الرقعة، وهي على ضفة النهر الكبير المسمى تاجه، ولها قنطرة من عجيب البنيان، وهي قوس واحدة، والماء يدخل تحت تلك القوس كله بعنف وشدة جري، ومع آخر القنطرة ناعورة ارتفاعها في الجو تسعون ذراعاً، وهي تُصعد الماء إلى أعلى القنطرة، والماء يجري على ظهرها فيدخل المدينة.

«ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم دار مملكتهم وموضع قصدهم، ووجد أهل الإسلام فيها عند افتتاح الأندلس زخائر كادت تفوق الوصف كثرة: فمنها أنه وجد بها سبعون تاجاً من الذهب مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة، ووجد بها ألف سيف مجوهر ملكي، ووجد بها من الدر والياقوت أكيال وأوساق، ووجد بها

من أنواع آنية الذهب والفضة ما لا يحيط به تحصيل، ووجد بها مائة سليمان بن داود، وكانت فيما يذكر من زمردة، وهذه المائة اليوم في مدينة رومة. ولمدينة طليطلة بساتين محدقة بها وأنهار جارئة مخترقة، ودواليب دائرة وجنات يانعة وفواكه عديمة المثال، لا يحيط بها تكييف ولا تحصيل، ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة وقلاع منيعة تكنفها...»^(١٥).

ومن المراجع التي اعتمد عليها الإدريسي في تأليف كتابه كتاب يسمى «نظام المرجان في المسالك والممالك» لابن الدالي، أحمد بن عمر بن أنس بن دلهاث (والدلال) نسبة إلى دلاة Dalias من أعمال المرية)، وقد حج إلى مكة سنة ١٠٠٢/٤٠٧ ومات سنة ١٠٨٥/٤٧٨^(١٦).

٩٨- ابن جبير

هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ربيع الأول ٥٤٠ - شعبان ٦١٤ / سبتمبر ١١٤٥ - نوفمبر ١٢١٧)، أصل قومه من شاطبة وَلَكِنَّهُ وُلِدَ فِي بِلَنَسِيَّة. درس الفقه والحديث والأدب والشعر من سن مبكرة وبرع فيها، واتصل بالموحدين وكتب في أول أمره عن السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن عاملهم على غرناطة، «فاستدعاه؛ لأن يكتب عنه كتاباً وهو على شرابه، فمد إليه يده بكأس فأظهر الانقباض وقال: «يا سيدي، ما شربتها قط» فقال: «والله لتشرين منها سبعة» فلما رأى العزيمة شرب سبعة أكؤس فملاً له السيد الكأس من دنانير سبع مرات وصب ذلك في حجره، فحمله إلى منزله وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير، ثم رغب للسيد وأعلمه أنه حلف بإيمان لا خروج له عنها أنه يحج تلك السنة، فأسغفه وباع ملكاً له تزود به، وأنفق تلك الدنانير في سبيل البر»^(١٧).

انفصل ابن جبير من غرناطة بقصد الرحلة المشرقية [الأولى]^(١٨) في ٩ شوال ٥٧٨ /

٢ فبراير ١١٨٢. وركب البحر من جزيرة طريف إلى سبتة والإسكندرية، ولما كان الطريق من مصر إلى بيت المقدس في يد الصليبيين في ذلك الحين، فقد توجه ابن جبير إلى قوص بصعيد مصر، ومنها إلى عيذاب؛ حيث عبر البحر الأحمر إلى جدة، وقصد مكة وحج إلى بيت الله الحرام، وزار المدينة لقضاء العمرة. ثم توجه إلى الكوفة وبغداد والموصل وأقام فيها بعض الوقت، ثم قصد حلب ودمشق، ثم ركب البحر من عكا عائداً إلى الأندلس في سفينة نصرانية أرسدت به بعض الوقت في صقلية. ووصل قرطاجنة الخلفاء بساحل الأندلس الشرقي في ١٥ محرم ٥٨١/٢٥ أبريل ١١٨٥، ومنها إلى غرناطة وقام ابن جبير بعد ذلك برحلتين أخريين إلى المشرق بدأ الأولى منهما في سنة ٥٨٥/١١٨٩ وعاد منها سنة ٥٨٧/١١٩١، وقام بالثانية في عام ٦١٤/١٢١٧ وأدركته منيته في الإسكندرية خلال هذه الرحلة الأخيرة.

وقد سجل ابن جبير مشاهداته في «رحلته» المشهورة (نشرها رايت في ليدن سنة ١٨٥٢، وأعاد نشرها دي خويه عام ١٩٠٧)، وهي أشبه بيوميات سفر صاغها ابن جبير في أسلوب بارع، وصور فيها بكلام سهل بسيط الأحاسيس التي اعتلجت في نفسه في المواضع التي زارها، أو عند مشاهدته الآثار التي رآها، وأسلوبه سلسٌ جزل يثم على موهبة أدبية أصيلة وعلى خلقه الحازم الوقور^(١٩).

ومن فقراته البديعة، تلك التي يصف فيها عاصفة هبت على سفينته وكادت تفرقها على مقربة من سواحل صقلية، وإليك هذه الفقرة:

«... ونحن الآن - بفضل الله تعالى - نتطلع البشري بظهور بر صقلية إن شاء الله. وفي النصف من ليلة الأحد الحادي عشر منه (شعبان ٥٧٨) انقلبت ريح غربية، وكشف النوء من المغرب، وجاءت الريح عاصفة، فأخذت بنا جهة الشمال. وأصبحنا يوم الأحد المذكور والهول يزيد، والبحر قد هاج هائجاً وماج مائجاً، فرمى بموج كالجبال، يصدم المركب صدمات يتقلب لها على عظمه قلب الغصن للربط -

وكان كالسور علواً - فيرتفع له الموج ارتفاعاً يرمى في وسطه بشأبيب كالوابل المنسكب. فلما جن الليل اشتد تلاطمه، وصكت الأذان غماغمه، واستشري عصفوف الريح، فحطت الشرع، واقتصر على الدلائن الصغار دون أنصاف الصواري ووقع اليأس من الدنيا، وودعنا الحياة بسلام. وجاءنا الموج من كل مكان، وظننا أننا قد أحيط بنا. فبأ لها من ليلة يشيب لها سواد الذوائب، مذكورة في ليالي الشوائب، مقدمة في تعداد الحوادث والنوائب، ونحن منها في مثل ليل صولٍ طولٍ. فأصبحنا ولم نكد، فكان من الاتفاقات الموحشة أن أبصرنا إقريطش عن يسارنا وجباله قد قامت أمامنا - وكثراً قد خلفناه عن يميننا - فأسقطتنا الريح عن مجرانا ونحن نظن أننا قد جرتنا، فسقط في أيدينا، وخالفنا المجرى المعهود الميمون، وهو أن يكون الير المذكور متاً يميناً في استقبال صقلية فاستسلمنا للقدر، وتجرعنا غصص هذا الكدر، وقتلنا:

سيكون الذي قضى سخط العبد أم رضي^(٢٠)

٩٩٠- العبدري - الجغرافيون في العصر الغرناطي

أبو محمد العبدري من أهل بلنسية، طاف ينواحي المغرب والأندلس في سنة ٦٨٦ / ١٢٨٨، وسجل مشاهداته في كتابه «الرحلة المغربية». وقد بدأ رحلته تلك من حاحه في بلاد السوس، ووصل إلى مكة عن طريق البر، وكر راجعاً ونزل الإسكندرية، ثم قطع المغرب إلى ساحل المحيط. وهو يشبه ابن بطوطة في طريقة روايته لأخبار رحلته؛ ولكنّه تكلف أسلوباً شديداً يبدو فيه الغوص وراء الألفاظ، فأضاع الجزء الكبير من قيمة «رحلته» - على خلاف ابن بطوطة الذي يكتب في أسلوب سهل لطيف - ووصفه لتونس وما رآه فيها لطيف جميل^(٢١).

ومن الجغرافيين النابيين الذين وسعهم الأندلس على بن سعيد المغربي، وقد تحدثنا عنه آنفاً (ف٧٩).

ومن رحالة الأندلس في العصر الفرناطي أبو عمر عبد الله بن رشيد بن النوشريسي، الذي جاب نواحي المغرب ومصر والشام في سنة ١٢٧٤، وسجل مشاهداته في «رحلة» لدينا منها بضع نسخ مخطوطة، وهو يورد في سياق كلامه تراجم من لقي من أهل الأدب، ويتحدث لنا عما شهد من مجالس أهل العلم وما زار من المكتبات. ومنهم كذلك ابن رشيد السبتي الفهري الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد، ٦٥٨-٧١١/١٢٦٠-١٣١٢) من أهل سبته، وكان ضليعاً في الحديث وخطيباً بليغاً، وله شروح وتعليقات على كتب الضبي وابن الأبار، وله رحلتان مشهورتان: الأولى: طاف فيها بنواحي المغرب، وزار في الثانية الأندلس؛ وقد أورد في تضاعيف كلامه إشارات نافعة عن الأدب والتاريخ الطبيعي، وله كذلك مصنفات في تراجم محدثي الأندلس وفقهائها وشروح على صحيح البخاري ومسلم^(٢٣).

ومنهم كذلك ابن جابر (أبو عبد الله محمد بن جابر بن محمد بن قاسم، المتوفى سنة ٧٤٦/١٣٤٥) من أهل وادي آش، وقد سكن تونس معظم أيامه، وهو من شيوخ ابن الخطيب، وله رحلة أورد في ثناياها ما كسبه من الفوائد الأدبية خلال أسفاره (لدينا منها نسخة في الإسكوريال). ومنهم البلويّ (أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد) من أهل قنتورية، وقد طاف بنواحي المغرب والمشرق فيما بين سنتي ٧٣٦ و ٧٤٠/١٣٣٥ و ١٣٣٩، وكتب رحلته في أسلوب تكلف فيه الإغراب والتفصُّح وسطاً على بعض السابقين فأدرج قطعاً من مؤلفاتهم في كلامه دون أن يشير إلى ذلك؛ وقد نقده ابن الخطيب وعاب عليه ذلك. وقد أورد وصف رحلته في كتابه المسمى «تاج المفرق في تحلية علماء المشرق».

أما رحلات ابن بطوطة (أبي عبد الله محمد بن محمد اللوتي الطنجي)^(٢٤) فقد قام بتدوينها ابن جزيّ (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبلي ٧٢١-٧٥٧/١٣٢١-١٣٥٦) وهو من أهل غرناطة، وكان من رجال أبي الحجاج يوسف بن

الأحمر صاحب غرناطة، وقد عهد إليه في صياغة رحلات ابن بطوطة لما اشتهر عنه في الظهور في الأدب والشعر والتاريخ واللغة والفقه؛ وقد أتم كتابتها في ثلاثة أشهر، معتمداً على ما سجله ابن بطوطة من الملاحظات.

ونجد في كتابات الموريسكيين بعض كتب الرحلات، منها وصف رحلة إلى مكة كتبه صاحبها بنفسه في الكتاب المسمى «رباعيات حاج بوي مونثون» Coplas del Alhichante de Puey Monzon .